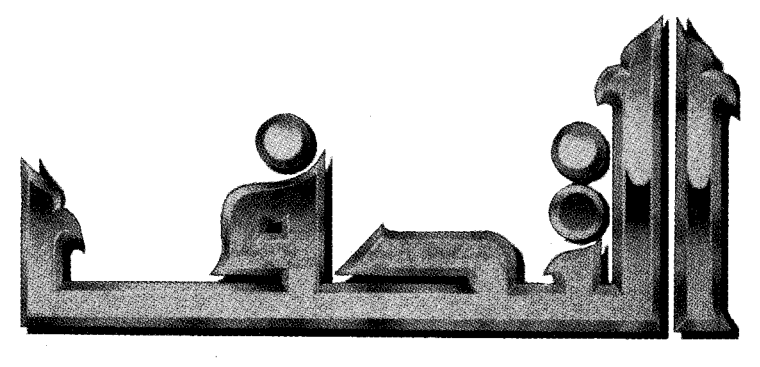


في مذاهب السلف

للإمام المجتهد العلامة

محمد بن علي بن محمد الشوكاني

اليمني الصنعاني

المتوفى سنة ١٢٥٥هـ

حققه وعلق عليه

شريف محمد فؤاد هزاع

المدرس بمركز الإمام الشافعي



الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة
١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم :أع ش ١٢٣٤
تاريخ : ١/١٠/١٩٩٤م

الناشــر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤ـ٠٦ .
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦ـ٠٦ ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ.ع.م

تقديـــم

الحمد للّه وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى . وبعد:

قال رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم ـ : « إنَّ اللّه عزَّ وجلَّ يبعثُ لهذه الأمَّةِ ، على رأس كل مائة سنةٍ ، من يجدّدُ لها دينَها» . رواه أبو داود والحاكم في «المستدرك» وصححه.

إن هذه الكرامة التي أكرم اللّه بها هذه الأمة ، لم تسبق لأمة من الأمم الخوالي ، فجميع الديانات والشرائع السالفة ، التي أنزلها اللّه تبارك وتعالى على الأنبياء والمرسلين ، قبل محمد ﷺ ، تعرضت للتحريف ، والتغيير ، والتبديل ، على مر السنين ، وكان أهم عامل من عوامل التحريف التي طرأت على تلك الديانات ، تسرب العقائد الوثنية إليها ، واختلاطها مع عقيدة التوحيد الأصلية ، التي هي عقيدة جميع الأنبياء والمرسلين ، وسرعان ما يزداد التحريف والتشويه بدخول تلك العقائد الغريبة على عقيدة التوحيد ، وبمرور الزمن تتشوه عقيدة التوحيد ، التي هي أصل الشرائع والديانات السماوية في عقول وتصورات الناس ، وتنحرف وتتبدل ، وتتغير صورتها بالكلية .

ولمَّا أَذنَ اللّه تبارك وتعالى ببعثة النبيّ الأميّ محمد بن عبد اللّه ﷺ ، وشاء بحكمته العليَّة أن يكونَ دينُ محمد ﷺ، خاتم الأديان ، وشريعته خاتمةَ الشرائع ، إلى أَنْ يرثَ اللّه

الأرضَ ومَنْ عليها ، أخبر في كتابه العزيز عن هذه الحقيقة، وأشار إليها بقوله : ﴿ إنَّا نحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا له لحافظون﴾ (الحجر : ٩) .

لقد تكفَّلَ اللّهُ العليّ القدير بحفظ هذا الدين ، وأخبر النبيُّ الأمين ﷺ ، أنَّ هذا الحفظَ سيكون ببعث أئمة أعلام بين حين وآخر « على رأس كل مائة سنة» يجدِّدون لهذه الأمة دينها ، فيذُبّون عنه ، ويردُّون كَيْدَ الكائدين، وبِدَعَ المبتدعين ، وغُلُوَّ الغالين، ونحلَ المبطلين ، ليبقى للإسلام توحيده ونقاؤه وبساطته ﴿فِطْرَتَ اللهِ التَّى فَطَرَ النَّاسَ عليها﴾ (الروم :٣٠) ولقد كان ذلك .

وقد رأينا خلال التاريخ الإسلامي ، أنَّه ما أنْ تظهرَ بدعةٌ لمبتدع ، أو يرفَع بها رأسَهُ ، إلاَّ وتنهالُ على هذا المبتدع وبدعته، ألسنةُ وأقلامُ الأئمةِ الأعلامِ ، حماةِ الدين وحرَّاسه، كأنَّها مطارقُ الحديد ، تتفَتَّتُ تحت ضرباتَها تلك الكدراتُ التي تعترضُ طريق المسلمين في مسيرهم إلى اللّه عز وجل، وكانت الحرب ولا تزال سجالاً بين أئمة الحق وأئمة الضلال، ولكنَّ النصر دائماً وأبداً كان لطائفة المؤمنين المدافعين عن شريعة اللّه عز وجل وتوحيده ومنهج نبيه ـ صلى اللّه عليه وآله وسلم .

وكان من هؤلاء الأعلام ـ حملة لواء الحق والمدافعين عنه ـ

الإمام محمد بن علي الشوكاني ، رحمه اللّه . علامة القطر اليماني في عصره ، وبقية السَّلَفِ، وشوكةٌ في حَلْقِ الخَلَفِ المبتدعين ، أحيا اللّهُ به السُّنَّةَ ، وقمعَ به البدعةَ، وأفاد بعلمه القاصي والداني ، وتركَ لنا الإمام ـ رحمه اللّه تعالى ـ إرثاً لا يقدَّرُ بثمن ، في الدفاع عن العقيدة، وتجديد الفقه ، وتبيان الأحكام ، وتوضيح الأصول ، وتقرير منهج السلف بأفصح بيان ، وأوضح عبارة ، وأقوى حجة .

وهذه الرسالة التي نضعها بين يدي القارئ، ثمرةٌ من ثمار هذا الإمام العظيم ، وحسنةٌ من حسناته الكثيرة في الدفاع عن عقيدة التوحيد ، وبيان منهج السلف ـ رحمهم اللّه تعالى ـ في فهم الصفات ، وموقفهم من المخالفين ، من أهل الكلام المنحرفين عن سبيل أهل السنَّة والجماعة .

وقد ظهرت في الآونة الأخيرة ، بعض الكتب والرسائل، لبعض الأشعريين، يحاولون فيها أن يشوهوا عقيدة بعض أئمة السلف (كابن كثير ، وابن حجر العسقلاني، والكناني، والشوكاني ، وغيرهم) بنسبتهم إلى التأويل ، والانحراف عن مذهب السلف ، ومن هذه الرسائل التي ظهرت أخيراً، رسالة بعنوان :

(عقيدة الإمام الشوكاني) للمدعو محمد عادل عزيزة، الذي حاول أن يثبت بما سوَّده من صفحات كذباً وزوراً وأعانه على

ذلك قوم آخرون ، أن الإمام الشوكاني كان أشعرياً، متكلماً، منحرفاً عن مذهب السلف ؟! وجهل هذا المتعالم أو تجاهل ، أن الإمام الشوكاني رحمه اللّه ، قد مرَّ بمراحل متعددة خلال طلبه للعلم ، ولكنَّ الذي ثبت عليه حين نضوجه، هو اعتقاده مذهب السلف كما يظهر ذلك جلياً في هذه الرسالة (التحف في مذاهب السلف) وهي من أواخر ما كتب رحمه اللّه تعالى.
وقد صدر عن دار الفتح وغيرها كتب وردود على افتراءات هؤلاء الأدعياء ، ممن يحاولون تلبيس الحقائق على طلبة العلم.

اقرأ مثلاً كتاب (تنبيهات على رسالة محمد عادل عزيزة في الصفات) للدكتور عبد الرزاق العباد، وقد أطال في الرد عليه وبيان عواره.

ودونك هذه الرسالة التي بين يديك (التحف في مذاهب السلف) لتعرف جلية الأمر وحقيقته ولتسمع بياناً فريداً من نوعه ، عن المذهب الحق، منهج السلف ، منهج الأنبياء والمرسلين .

وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم.

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الأنام وآله الكرام ، ورضي اللّه عن صحبه الأعلام .

وبعد : فإنه وصل سؤال من بعض الأعلام الساكنين ببلد اللّه الحرام ، وهذا لفظه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين . ما يقول فقهاء الدين، وعلماء المحدثين، وجماعة الموحِّدين، في آيات الصفات وأخبارها اللاتي نطق بها الكتاب العظيم ، وأفصحت عنها سنة الهادي إلى صراط مستقيم؛ هل إقرارها وإمرارها وإجراؤها على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ، ولا تأويل ، ولا تعطيل ؛ عقيدة الموحدين، وتصديق بالكتاب المبين واتباع السلف الصالحين ، أو هذا مذهب المجسِّمين ؟ وما حكم من أوّل الصفات، ونفى ما وصف اللّه به نفسه ووصفه به نبيُّه ؟ وتأيَّد بالنصوص، واتفق عليه الخصوص، من أن اللّه سبحانه في سمائه، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه ،

وعلمه في كل مكان ، والدليل آيات الاستواء والصعود والرفع، وقوله تعالى:﴿أأمنتم من في السماء﴾ (الملك ١٦ ، ١٧) ومن السنة حديث الجارية [١] والنزول [٢] وعمران بن

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٥٣٧) والنسائي (١٨/٣) وأبو داود (٩٣٠، ٣٢٨٤) ومالك في الموطأ (٨) عن عمرو بن الحكم وهو وهم إذ ليس في الصحابة من اسمه كذلك وأحمد (٤٤٧/٥، ٤٤٨) ، (٢٩١/٢) وابن خزيمة في التوحيد (٨١ ، ٨٢) والذهبي في العلو كما في المختصر (١) وقال : فمن الأحاديث المتواترة الواردة في العلو ثم ذكره، وانظر لزاماً تعليق شيخنا الألباني في التعليق عليه في مختصر العلو (من ٨١ – ٨٢) : ولفظ مسلم : عن معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه، وفيه: قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَل أُحُدٍ والجَوَّانِيَّةِ فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها . وأنا رجل من بني، آدم آسف كما يأسفون . لكني صككتها صكة . فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليَّ قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : «ائتني بها» فأتيته بها فقال لها : « أين الله ؟ » قالت : في السماء . قال :«مَنْ أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها، فإنها مؤمنة».

(٢) صحيح متواتر : أخرجه عن أبي هريرة البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤.) ومسلم (٧٥٨) ومالك (٢١٤/١) وأحمد (٢٦٤/٢، ٢٦٧، ٢٨٢، ٤١٩، ٥٠٤) وأبو داود (١٣١٥ ، ٤٧٣٣) والترمذي (٤٤٦) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٨٧) والدارمي (٢٨٦/١) حديث (١٤٨٦) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٢٩) والسنة لابن أبي عاصم (٢١٨/١) حديث (٤٩٥، ٤٩٦) والدارقطني في كتاب النزول رقم (١٣-٥١) ==

حـــــصـين (٣) * وقــــوله ﷺ : «ألا تـأمَنوني وأنا أمـين مَنْ

=== والدارمي في الرد على الجهمية (١٢٥) وعبد اللّه بن أحمد في السنة (١٥٣ ، ١٥٤) وابن نصر في قيام الليل (ص ٣٥) ورووه عن غيره من الصحابة وانظر طرقه في كتاب النزول للدارقطني بتحقيق شيخنا علي ابن محمد ناصر الفقيهي .

ولفظ البخاري : أن رسول اللّه ﷺ قال :« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٩٠ ، ٣١٩١ ، ٤٣٦٥ ، ٤٣٨٦ ، ٧٤١٨) بعضهم بقطعة منه وأحمد (٤٢٦/٤ ، ٤٣١ – ٤٣٢ ، ٤٤٣ ، ٤٣٦) والترمذي بقطعة منه (٣٩٩١) والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف (١٨٣/٨).

ولفظ البخاري : عن عمران بن حصين رضي اللّه عنهما قال : دخلت على النبي ﷺ . وعقلت ناقتي بالباب . فأتاه ناس من بني تميم فقال : «اقبلوا البشرى يابني تميم» . قالوا قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال : «اقبلوا البشرى ياأهل اليمن أن لم يقبلها بنوتميم» . قالوا : قد قبلنا يا رسول اللّه . قالوا جئنا نسألك عن هذا الأمر . قال : «كان اللّه ولم يكن شيء غيرُه . وكان عرشه على الماء. وكتب في الذكر كل شيء . وخلق السموات والأرض» . فنادى منادٍ : ذهبت ناقتك يا بن الحصين . فانطلقت فإذا هي يَقطَعُ دونَها السرابُ . فواللّه لوددت أني كنت تركتها ا.هـ.

* قلت : ولعل المصنف يشير إلى ما أخرجه الترمذي - (٣٧٣٠) عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ لأبي: « ياحصين كم تعبد ==

في السمـاء) (٤) وغـيـر ذلك من الآيات المتـواترة ، والأحـاديث المتكاثرة . وأَوَّلَ الآيات وجَعَلَ الاستواء استيلاءً ، وأَوَّلَ النزول بالرحمة ، وهكذا جعل التأويل عليه مَطْرَدَةَ في سـائر نصوص الصفات وعاش في ظلام العقل في الجـهل والشبهات ، وإذا

= اليوم إلهاً؟» قال أبي : سبعة : ستة في الأرض وواحداً في السماء، قال : « فأيهم تعُدُّ لرغبتك ورهبتك؟» قال: الذي في السماء، قال : « يا حصين ، أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك» ، قال : فلما أسلم حصين قال : يا رسول اللّه علمني الكلمتين اللتين وعدتني ، فقال : «قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي». وقال شيخنا في ضعيف الترمذي (٦٩٠) : ضعيف . (الناشر)

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٣٦١٠ ، ٤٣٥١ ، ٤٦٦٧ ، ٥٠٥٨، ٦١٦٣ ، ٦٩٣١ ، ٦٩٣٣ ، ٧٤٣٢ ، ٥٧٦٢) ومسلم (١٠٦٣) وأبو دواد (٤٧٦٤) والنسائي (٥/٨٧) وابن قدامة في إثبات صفة العلو (٢٣) والذهبي في العلو كما في المختصر (٨٤٠) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٤٢٠) عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه، ولفظه عند البخاري : بعث علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه إلى رسول اللّه ﷺ من اليمن بذهَيْبَةٍ في أديم مَقروظ لم تحصَّلْ من ترابها . قال فقسمها بين أربعة نفر : بين عيينة بن بدر ، وأقرع بن حابس ، وزيد الخيل ، والرابع إما علقمة ، وإما عامر بن الطفيل . فقال رجل : من أصحابه : كنا نحن أ حق بهذا من هؤلاء . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء ؟» الحديث

قيل له : أَيْنَ اللّه؟ أجاب : بأنه لا يقال أَيْنَ اللّه ، اللّه لم يكن، له مكان، كما هو جواب فريقي المضلين ، فهل هذا جواب الجهميين (٥) . والمريسيين (٦) وأضلاء المتكلّمين. أم اختيار

---

(٥) نسبة إلى : جهم بن صفوان ، أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، هلك في زمان صغار التابعين ، وما علمته روى شيئاً ، لكنه زرع شراً كثيراً . هكذا كتب عنه الحافظ في لسان الميزان (١/٤٢٦) ترجمته (١٥٨٤).

(٦) نسبة إلى : بشر بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون ، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً في شيء من الفقه ، وأخذ عن أبي يوسف القاضي ، وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ، ثم غلب عليه علم الكلام ، وقد نهاه الشافعي عن تعلمه وتعاطيه فلم يقبل منه ، وقال الشافعي : لئن يلقى اللّه العبد بكل ذنب ماعدا الشرك أحب إلي من أن يلقاه بعلم الكلام . وقد اجتمع بشر بالشافعي عندما قدم بغداد . قال ابن خلكان : جدد القول بخلق القرآن وحُكي عنه أقوال شنيعة . وكان مرجئياً وإليه تنسب المريسية من المرجئة . وكان يقول : إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر .وإنما هو علامة للكفر ، وكان يناظر الشافعي وكان لا يحسن النحو ، وكان يلحن لحناً فاحشاً . ويقال: إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة ، وكان يسكن درب المريسي ببغداد . ا.هـ . البداية والنهاية (١٠/٢٩٤) وقد جرت مناظرة بينه وبين الإمام عبد العزيز الكناني المتوفى سنة ٢٤٠هـ خُذِلَ فيها . (انظر كتاب الحيدة طبعة دار الفتح ١٩٩٤م) وأطلت في ترجمته ليعلم ضلاله .

علماء السُّنِّيين؟ أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها ، فإن هذا المقام طال فيه النزاع، وحارت فيه الأفهام، وزلت الأقدام، وكُلٌّ يدعي الصواب بزُخْرُف الجواب. فأبينوا المُدَّعَى بالدليل ، وبَيِّنوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ، ضاعف اللّه لكم الأجور، ووقاكم الشرور ، والسلام عليكم ورحمة اللّه .

وأقول : اعلم أن الكلام في الآيات والأحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيوله، وتشعبت أطرافه، وتناسبت فيه المذاهب، وتفاوتت فيه الطرائق، وتخالفت فيه النِّحَل ، وسبب هذا : عدم وقوف المنتسبين إلى العلم حيث أوقفهم اللّه ، ودخولُهم في أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها، ومحاولتُهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه، حتى تفرقوا فرقاً، وتشعبوا شُعَباً، وصاروا أحزاباً . وكانوا في البداية ، ومحاولة الوصول إلى ما يتصورونه من العامّة، مختلفي المقاصد، متبايني المطالب: فطائفة - وهي أخف هذه الطوائف المتكلِّفة علمَ مالم يكلِّفها الله سبحانه بعلمه إثماً، وأقلها عقوبة وجرماً - وهي التي أرادت الوصول إلى الحق، والوقوف على الصواب ، لكن سلكت في طريق متوعرة، وصعَدت في الكشف عنه إلى عقبة كؤود، لايرجع مَنْ سلكها سالماً، فضلا

عن أن يظفر فيها بمطلوب صحيح . ومع هذا أصَّلوا أُصُولاً ظنُّوها حقاً، فدفعوا بها آيات قرآنية، وأحاديث صحيحة نبوية، واعتلُّوا في ذلك الدفع بشُبَه واهية، وخيالات مختلة ، وهؤلاء طائفتان:

الطائفة الأولى : وهي الطائفة التي غلت في التنزيه ، فوصلت إلى حد يقشعر عنده الجلد، ويضطرب له القلب، من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتاً أوضح من شمس النهار، وأظهر من فَلَق الصباح ، وظنُّوا هذا من صنيعهم موافقاً للحق، مطابقاً لمايريده اللّه سبحانه ، فضلُّوا الطريق المستقيم ، وأضلُّوا من رام سلوكها .

والطائفة الأخرى : هي غلت في إثبات القدرة غلواً بلغ إلى حدٍّ أنه لا تأثير لغيرها، ولا اعتبار بما سواها ، وأفضى ذلك إلى الجبر المحض، والقسر الخالص (٧) ، فلم يبق لبعث

---

(٧) هم النفاة الخائضون في القدر مثل الجهم ومن وافقه ـ فقالوا : إن مشيئته وإرادته بمعنى واحد وقد شاء ماوقع من المعاصي فهو يحبها ويرضاها ـ فقالوا: العبد لا فعل له ألبتة ولا قدرة، بل اللّه هو الفاعل القادر فقط ، كما أنكروا الحكمة والرحمة والقوى والطبائع والأسباب ، وخالفه بعضهم خلافاً لفظياً . مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٧/٢٦).

الرسل وإنزال الكتب كثير فائدة ، ولا يعود ذلك على عباده بعائدة، وجاءوا بتأويلات للآيات البيّنات، ومحاولات لحجج اللّه الواضحات ، فكانوا كالطائفة الأولى في الضلال والإضلال ، مع أن كلا المقصدين صحيح ، ووجه كل منهما صبيح ، لولا ما شانه من الغلو القبيح .

وطائفة توسطت ؛ ورامت الجمع بين الضب والنون (٨)، وظنت أنها وقفت بمكان بين الإفراط والتفريط ؛ ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها ، وتجول على الأخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ما ذهبت إليه ، ﴿ كُلُّ حزب بما لديهم فرحون ﴾ (المؤمنون:٥٣)، وعند الله تلتقي الخصوم ، ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف أسلم ، ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم(٩) ؛ فكان غاية ماظفروا به من هذه الأعلمية لطريق

---

(٨) هو مثل يُضْرَب للجمع بين النقيضين، والله أعلم .

(٩) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه في الفتوى الحموية الكبرى: ولا يجوز أيضاً أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقول بعض الأغبياء ممن لا يعرف قدر السلف ، بل ولا عرف الله ورسوله ، والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها : من أن طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، فإن هؤلاء المبتدعين الذين ==

الخلف أن تمنّى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دِينَ العجائز(١٠) ، وقالوا: هنيئاً للعامة. فتدبّر هذه الأعلمية التي حاصلها أن يهنِّئ من ظفر بها للجاهل، لأهل الجهل

= يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف ، إنما أتُوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين الذين قال فيهم الله تعالى ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ (سورة البقرة :٧٨) وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ، فهذا الظن الفاسد، أوجب تلك المقالات التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر ، وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف ا.هـ. المقصود بلفظه .

(١٠) قائل ذلك هو الإمام أبو المعالي الجويني قال : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به . وقال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لا بن الجويني ، وها أنذا أموت على عقيدة أمي أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور . شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٠٩) ط المكتب الإسلامي الطبعة الثامنة . ومختصر العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي (ص ـ ٢٧٥ ـ ٢٧٦) وشذرات الذهب (٣/٣٦١ ـ ٣٦٢).

البسيط[11] ، ويتمنى أنه في عدادهم، وممن يدين بدينهم، ويمشي على طريقهم ، فإن هذا ينادي بأعلى صوت، ويدل بأوضح دلالة على أن هذه الأعلمية التي طلبوها ، الجهلُ خير منها بكثير ، فما ظنك بعلم يقرُّ له صاحبُهُ على نفسه أن الجهل خير منه، وينتهي عند البلوغ إلى غايته ، والوصول إلى نهايته أن يكون جاهلاً به، عاطلاً عنه . ففي هذا عبرة للمعتبرين، وآية بينة للناظرين ، فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء ؛ وسلموا من تبعاتها، وأراحوا أنفسهم من تعبها ؛ وقالوا كما قال القائل :

أرى الأمر يفضي إلى آخرٍ   يُصَيِّرُ آخِرَهُ أَوَّلاً

وربحوا الخلوص من هذا التمني، والسلامة من هذه التهنئة للعامة، فإن العاقل لا يتمنَّى رتبةً مثل رتبته أودونها، ولا يهنِّئ لمن هو دونه أو مِثْلَه، ولا يكون ذلك إلا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه . فيا لله العجب مِنْ علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه، وأفضل مقداراً منه بالنسبة إليه ، وهل سمع السامعون مثل هذه الغريبة، أو نقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها؟! وإذا كان حال هذه الطائفة

---

(١١) الجهل البسيط : هو أن يجهل الإنسان ويعلم بجهله . وأما الجهل المركب : فهو أن يجهل ويجهل بجهله .

التي قد عرفناك أَخَفَّ هذه الطوائف تكلُّفاً وأقلَّها تَبِعة ، فما ظنُّك بماعداها من الطوائف التي قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها؛ كالطوائف التي أرادت بالمظاهر التي تظاهرت به إكبار الإسلام وأهله، والسعي في التشكيك فيه بإيراد الشُّبَه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتنفير أهله عنه؟! وعند هذا تعلم أنَّ :

خَيْرَ الأمور السَّالفات على الهُدَى

وشَرَّ الأمور المحدثات البدائعُ

وأن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة ، هو ما كان عليه «خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» (١٢) ، وقد

---

(١٢) صحيح :أخرجه البخاري -(٢٦٥١ ، ٣٦٥٠ ، ٦٤٢٨ ، ٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (٢٦٥٢ ، ٣٦٥١ ، ٦٤٢٩ ، ٦٦٥٨) ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وأخرجه أحمد (٥/٣٥٠) عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه . وأخرجه مسلم (٢٥٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه غيرهم ولفظ حديث عمران : قال النبي ﷺ «خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ـ قال عمران : لا أدري أذكر النبي ﷺ بعدُ قرنين أو ثلاثة؟ قال النبي ﷺ : إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤْتمنون ، ويَشْهدون ولا يُسْتَشْهَدون ، وينذِرون ولا يفون ويظهر فيهم السِّمَن) ا.هـ.

كانوا ـ رحمهم الله وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم ـ يُمِرُّون أدلة الصفات على ظاهرها، ولا يتكلَّفون علم ما لا يعلمون ، ولا يتأوَّلون ، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمتقرِّرُ من مذاهبهم لا يشكُّ فيه شاكٌّ ، ولا ينكره منكر، ولا يجادل فيه مجادل [١٣] ، وإن نزع بينهم نازع، أو نجم في عصرهم ناجم؛ أوضحوا للناس أمره، وبيَّنوا لهم أنه على ضلالة ، وصرَّحُوا بذلك في المجامع والمحافل ، وحذَّروا الناس من بدعته؛ كما كان منهم لما ظهر مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ وأصحابه، وقالوا : إن الأمر أُنُف، وبينوا ضلالته، وبطلانَ مقالته للناس، فحَذِروه، إلا من ختم اللّه على قلبه، وجعل على بصره غشاوة [١٤] .

---

(١٣) انظر كثيراً من أقوال السلف بألفاظها وألفاظ من نقلوها عنهم في الفتوى الحموية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لا بن القيم والعلو للعلي الغفار للإمام الذهبي ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي ، والتوحيد لا بن خزيمة ، والسنة لعبد اللّه بن أحمد وكتب العقيدة كثيراً ما تنقل عن السلف أقوالهم التي يقررون فيها عقيدتهم السلفية ونهيهم عن علم الكلام وأهله . وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر .

(١٤) أخرج الإمام مسلم في صحيحه (٨) عن يحيى بن يَعْمَر : ==

وهكذا كان مَنْ بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال، ويحذرهم منها ، كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم، ومَنْ قال بقوله، وانتحل نحلته الباطلة(١٥). ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات أن يتظاهر ببدعته ، بل يكتمونها كما تتكتّم الزنادقة بكفرهم . وهكذا

= قال : كان أولَ من قال في القدر بالبصرة مَعْبَدٌ الجُهَني . فانطلقت أنا وحُمَيْد بن عبد الرحمن الحِمْيَري حاجّيْن أو معتمرين . فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر . فوُفِّق لنا عبدُ الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد . فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخرُ عن شماله . فظننت أن صاحبي سَيكِلُ الكلام إليَّ . فقلت . أبا عبد الرحمن إنه قد قد ظهر قِبَلَنا ناس يقرؤون القرآن ويَتَقَفَّرون العلم . وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أنْ لاقدر . وأن الأمر أُنُف . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم ، وأنهم بُرآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر ! لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر . ثم قال : حدثني أبي عمرُ بن الخطاب فذكر حديث جبريل .

(١٥) الجعد بن درهم : عداده في التابعين . مبتدع ضال ، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ؛ فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر ، والقصة مشهورة انظر ميزان الاعتدال (٣٩٩/١) ترجمة (١٤٨٢) وانظر الرد على الجهمية للدارمي (١٣) وتخريج الأخ بدر البدر لقصة قتله.

سائر المبتدعين في الدين، على اختلاف البدع، وتفاوت المقالات الباطلة . ولكنَّا نقتصر ههنا على الكلام في هذه المسألة التي ورد السؤال عنها ، وهي مسألة الصفات، وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلّفِ علمَ ما لم يأذن الله بأن يعلموه، وبيان أن إمرار أدلة الصفات على ظاهرها هومذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وأن كل من أراد من نزّاع المتكلفين وشذّاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر، قاموا عليه وحذّروا الناس منه، وبيَّنوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الإسلام، وسائر المبتدعين في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، في خبايا وزوايا لا يتصل بهم إلا مغرور، ولا ينخدع بزخارف أقوالهم إلا مخدوع ، وهم مع ذلك على تخوُّف من أهل الإسلام، وترقُّب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين، والرؤساء والسلاطين ، حتى نجم ناجم المحنة ، وبرق بارق الشر من جهة العباسية [(١٦)] ومَنْ لهم في

---

(١٦) يشير الشيخ رحمه الله إلى فتنة خلق القرآن والتي أحدثت في عهد المأمون سنة ٢١٨هـ يقول ابن كثير رحمه الله في البداية (١٠/٢٨٤) ذكر أول المحنة والفتنة : في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن ==

الأمر والنهي والإصدار والإيراد أعظمُ صولة ، وذلك في الدولة

== القضاة والمحدثين بالقول - بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم ، وكتب إليه يستحثه في كتاب مطول ... ثم يقول (١٠/٢٨٧) في ترجمة عبد الله المأمون : وقد كان فيه تشيع واعتزال وجهل بالسنة الصحيحة .. وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر ابن غياث المريسي فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل ، وكان يحب العلم ولم يكن له بصيرة نافذة فيه ، فدخل عليه بسبب ذلك الداخل ، وراج عنده الباطل . وذكر ابن كثير (ص ٢٩٣) وصيته فقال : وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وصيته بحضرته وبحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتاب . وفيها القول بخلق القرآن ولم يتب من ذلك بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه ا .هـ ثم تبعه على اعتقاده أخوه المعتصم حتى توفي سنة ٢٢٧هـ ثم كانت خلافة الواثق وذكر ابن كثير في البداية (١٠/٣٢٢-٣٢٣) «قال الخطيب : وكان ابن أبي دؤاد استولى على الواثق وحمله على التشديد في المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن . قال ويقال : إن الواثق رجع عن ذلك قبل موته» وذكر رواية في ذلك . ثم كانت خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ وبقيت الفتنة حتى دخلت سنة ٢٣٧ يقول ابن كثير (١٠/٢٣٠) ثم : كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن ، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت . وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه ، فاجتمع به وأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها ، وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه ==

بسبب قاضيها أحمد بن أبي دؤاد (١٧) ، فعند ذلك أطلع المنكسون في تلك الزوايا رؤوسَهم، وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم ، وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة، وبدعهم المضلَّة، ودَعَوُا الناس إليها، وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها ، حتى اختلط المعروف بالمنكر واشتبه على العامة الحقُّ بالباطل؛ والسنةُ بالبدعة . ولما كان الله سبحانه قد تكفَّل

= فاستحيا منه أحمد كثيراً فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعاً عنيفاً وهو يبكي رحمه اللّه تعالى اهـ . فكانت المحنة من سنة ٢١٨هـ إلى سنة ٢٣٧هـ : وذلك في عهد أربعة خلفاء من خلفاء بني العباس كما ذكر الإمام الشوكاني رحمه اللّه وانظر ملخصاً للمحنة فى البداية (٣٤٦/٥).

(١٧) هو أحمد بن أبي دؤاد واسمه الفرج بن جرير قال الخطيب : ولي ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للمعتصم ، ثم للواثق ، فكان موصوفاً بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور الأدب ، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق القرآن ، وأن الله لا يُرى في الأخرة . وكان قال للمتوكل لما قال : - في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر وهو الخزاعي الإمام الذي قتل بسبب قوله القرآن كلام اللّه رحمه اللّه - قال للمتوكل : ضربني الله بالفالج إن قتله الواثق إلا كافراً . قال المتوكل : أما ابن أبي دؤاد فقد سجنه في جلده - يعني بالفالج - ضربه الله قبل موته بأربع سنين وهلك سنة ٢٤٠ هـ حاسبه الله بما يستحق .

بإظهار دينه على الدين كله [١٨] ، وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل [١٩] ، أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبَيِّن للناس دينهم، وينكر على أهل البدع بدعهم . فكان لهم - ولله الحمد - المقامات المحمودة ؛ والمواقف المشهودة في نصر الدين، وهتك المبتدعين.

وبهذا الكلام القليل الذي ذكَرْنا، تعرف أن مذهب السلف من الصحابة رضي اللّه عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها، من دون تحريف لها، ولا تأويل متعسف لشيء منها ، ولا جبر، ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل، وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تَلَوْا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال اللّه هكذا، ولا ندري بما سوى ذلك ؛ ولا نتكلَّف ولا نتكلم بما لم نعلمه، و لا أذن الله لنا بمجاوزته ؛ فإن أراد السائل

---

(١٨) يشير إلى قوله تعالى :﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [سورة التوبة : ٣٣]، [سورة الصف : ٩] و [سورة الفتح : ٢٨] وفيها ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ .

(١٩) يشير إلى قول الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر : ٩]

أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه، ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ماهم عليه، وما حفظوه عن رسول اللّه ﷺ، وحفظه التابعون عن الصحابة، وحفظه مَنْ بَعْدَ التابعين عن التابعين .

وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متَّحِدَة والطريقة لهم جميعاً متَّفِقَة ، وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به ، وكلَّفهم القيام بفرائضه من الإيمان بالله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وإنفاق الأموال في أنواع البِرّ، وطلب العلم النافع ، وإرشاد الناس إلى الخير على اختلاف أنواعه ، والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة، والنجاة من النار ، والقيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والأخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة، وبما تبلغ إليه القدرة ، ولم يشتغلوا بغير ذلك ممَّا لم يكلِّفْهم الله بعلمه، ولا تعبَّدهم بالوقوف على حقيقته فكان الدين إذ ذاك صافياً عن كَدَرِ البدع ، خالصاً عن شوب قذر التمذهب.

فعلى هذا النمط كان الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، وتابعوهم، وبهدي رسول اللّه ﷺ اهتدَوْا ؛

وبأفعاله وأقواله اقتدوا . فمن قال إنهم تلبّسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو في غيرها ، فقد أعظم عليهم الفرية، وليس بمقبول في ذلك ، فإن أقوال الأئمة المطَّلِعين على أحوالهم، العارفين بها، الآخذين لها عن الثقات الأثبات يَردُّ عليه، ويدفع في وجهه ، يعلم ذلك كُلٌّ من له علم ، ويعرفه كل عارف . فاشدد يدك على هذا ، واعلم أنه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم [20] ، ودع عنك ماحدث من تلك التمذهبات في الصفات ؛ وأَرِحْ نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلِّمون، واصطلحوا عليها، وجعلوها أصلاً يردُّ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فإن وافقاها فقد وافقا الأصول المتقرِّرة في زعمهم ؛ وإن خالفاها فقد خالفا الأصول المتقررة في زعمهم، ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم، والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه . ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى ، أو ألف حديث مما ثبت في الصحيح، لم يبالوا به، ولا رفعوا

---

(٢٠) حسن لغيره : وسبق تخريجه برقم (١٢) لكن جزم المؤلف هنا أنهم ثلاثة قرون بعد قرنه وهو عند أحمد (٣٥٧/٥) من رواية بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال الألباني في الصحيحه (١٨٤١) :والحديث حسن لغيره .

إليه رؤوسهم، ولا عدُّوه شيئاً . (٢١)

---

(٢١) ما ذكره المؤلف رحمه الله حق فقد غالوا في ذلك جداً ؛ يقول العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي : ولأجل هذه البلية العظمى . والطامة الكبرى ، زعم كثير من النظار الذين عندهم فهم أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها ، غير لا ئقة بالله ، لأن ظواهرها المتبادرة منها هو تشبيه صفات الله بصفات خلقه ، وعقد ذلك المقري في إضاءته في قوله :

والنص إن أوهم غير اللائق   بالله كالتشبيه بالخلائق
فاصرفه عن ظاهره إجماعا   واقطع عن الممتنع الأطماعا

وهذه الدعوى الباطلة ، من أعظم الافتراء على آيات الله تعالى ، وأحاديث رسوله ﷺ والواقع في نفس الأمر أن ظواهر آيات الصفات وأحاديثها المتبادرة منها ، لكل مسلم راجع عقله ، هي مخالفة صفات الله لصفات خلقه ا.هـ المقصود انظر تفسير آية ﴿ آفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ (من الأضواء) وتحقيقنا لها في رسالة الإقليد ص ٣٢ ويقول شيخنا العلامة الألباني في مقدمته لكتاب العلو للإمام الذهبي رحمه الله ص ٣٤ : وليس أدل على ضرر التأويل على أصحابه المغرمين به من القول الذي شاع بينهم ، ولهجت به ألسنتهم كلما أثير بحث الصفات والإيمان بها على حقائقها أو على تأويلها ، ألا وهو قولهم : « مذهب السلف أسلم ، ومذهب الخلف أعلم وأحكم » !

والشاب المثقف اليوم الذي لم تتلوث ثقافته الشرعية بشيء من علم الكلام .. ربما لا يصدق أن أحداً من الخلف يقول مثل هذا القول ! وحق له ذلك لخطورته وفظاعته ولكنه – مع الأسف – هو ==

ومن كان منكراً لهذا، فعليه بكتب هذه الطوائف المصنَّفة في علم الكلام، فإنه سيقف على الحقيقة، ويُسَلِّم هذه الجملة، ولا يتردد فيها . ومن العجب العجيب والنبأ الغريب أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التي جعلها مَنْ بعدهم أصولاً ، لا مُسْتَنَد لها إلا مجرد الدعوى على العقل، والفرية على الفطرة ؛ وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم، وتخالفت عنده إدراكاتهم ؛ فهذا يقول: حُكْمُ العقل في هذا الكلام كذا ، وهذا يقول: حكم العقل في هذا كذا . ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من تَقلَّده ويقتدي به، أصلاً يرجِع إليه، ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ، يقبل منهما ما وافقه، ويرد ما خالفه. فيالله وللمسلمين، ويالعلماء

= الواقع المعروف لدى طلبة الشريعة ، وإليك مثالاً واحداً . على ذلك مما يقرؤونه على مشايخهم ، قال الباجوري في حاشيته (ص ٥٠) تحت قول صاحب الجوهرة .

وكل نص أوهم التشبيها أوِّله أو فَوضْ ورم تنزيها

وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، لما فيها من مزيد الإيضاح ، والرد على الخصوم وهي الأرجح ولذلك قدمها المصنف ، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى ا.هـ المقصود بلفظه .

الدين من هذه الفواقر (٢٢) الموحِشَة التي لم يصب الإسلام وأهله بمثلها . وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع أنهم بعد أن جعلوا هذه التعقّلات التى تعقَّلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتها أصولاً تُرَدُّ إليها أدلة الكتاب والسنة، جعلوها معياراً لصفات الرب تعالى ؛ فما تعقَّله هذا من صفات الله قال به جزماً ؛ وماتعقله خصمه منها قطع به ؛ فأثبتوا لله تعالى الشيء ونقيضه استدلالاً بما حكمت به عقولُهم الفاسدة، وتناقضت في شأنه، ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ ، بل إن وجدوا ذلك موافقاً لما تعقَّلوه جعلوه مؤيِّداً له ومقوِّياً ؛ وقالوا: قد ورد دليل السمع مطابقاً لدليل العقل . وإن وجدوه مخالفاً لما تعقَّلوه جعلوه وارداً على خلاف الأصل، ومتشابهاً، وغير معقول المعنى، ولا ظاهر الدلالة. ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم، فافترى على عقله بأنه قد تعقّل خلاف ما تعقَّله خصمه، وجعل ذلك أصلاً يردُّ إليه أدلة الكتاب والسنة ، وجعل المتشابه عند أولئك محكماً عنده، والمخالف لدليل العقل عندهم موافقاً له عنده . فكان حاصل كلام هؤلاء أنهم يعلمون

---

(٢٢) الفاقرة : الداهية التى تكسر الظهر .

من صفات الله ما لا يعلمه . وكفاك هذا وليس بعده شيء. وعنده يتعثَّر القلم حياءً من الله سبحانه وتعالى، وربما استبعد هذا مستبعد، واستنكره مستنكر ، وقال : إن في كلامي هذا مبالغة وتهويلاً، وتشنيعاً، وتطويلاً، وإن الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل، وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت إليها .

فأقول : خذ جملة البلوى، ودَعْ تفصيلها، واسمع مايصك سمعك ، ولولا هذا الإلحاح منك ما سمعتَه، ولا جرى القلم بمثله. هذا أبو علي [(٢٣)]، وهو رأس من رؤوسهم، وركن من أركانهم، وأسطوانة من أسطواناتهم، قد حكى عنه الكبار . وآخِرُ مَنْ حكى عنه ذلك صاحب شرح (القلائد) : (واللهِ لا يعلم [اللّه] من نفسه إلا ما يعلم هو)، فخذ هذا التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح، وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى، التي ليس بعدها جرأة . فيا لأمِّ أبي عليّ الويل، أنهيق مثل

---

(٢٣) هو محمد بن عبد الوهاب أبو علي الجبائي ، شيخ طائفة الاعتزال في زمانه ، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه ، وللجبائي تفسير حافل مطول ، له فيه اختيارات غريبة في التفسير ، وقد رد عليه الأشعري فيه ، وقال : وكأن القرآن نزل في لغة أهل جباء. وكان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين ومات سنة ٣٠٣هـ . البداية والنهاية (١٣٤/١١) وله ترجمته في لسان الميزان .

هذا النهيق ويدخل نفسه في هذا المضيق ؟ وهل سمع السامعون بيمين أفْجَر من هذه اليمين الملعونة ؟ أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة ؟ أو بلغ مفتخر إلى ما بلغ هذا المختال الفخور ، أووصل مَن يفجر في أَيْمانه إلى ما يقارب هذا الفجور ؟ وكُلُّ عاقل يعلم أن أحدنا لوحلف أن ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو لكان كاذباً في يمينه فاجراً فيها ، لأن كُلَّ فرد من الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يحب أن يطلع عليها غيره، ويكره أن يقف على شيء منها سواه. ومَنْ ذا الذي يدري بما يجول في خاطر غيره، ويستكنُّ في ضميره .

ومن ادَّعى علم ذلك وأنه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما يعلمه هذا المدَّعي، فهو إما مصاب العقل، يهذي بما لا يدري ويتكلم بما لا يفهم . أو كاذب شديد الكذب، عظيم الافتراء ، فإن هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه . فهو الذي يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه، وما يسر عباده، وما يعلنون وما يظهرون، وما يكتمون . كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع (٢٤) . فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من

---

(٢٤) هـذا المعنى قد ورد في آيات كثيرة : منها : ====

العلم ما لا يعلمه إلا اللّه من عباده ، فما ظنك مَنْ جاوز هذا وتعدّاه، وأقسم بالله سبحانه أن الله لا يعلم من نفسه هو إلا ما يعلمه هو؟ ولا يصح لنا أن نحمله على اختلال العقل ، فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً يقتدي بقوله جماعات من أهل عصره، ومن جاء بعده، وينقلون كلامه في الدفاتر، ويحكون عنه في مقامات الاختلاف ، ولعل أتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائل ، وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل: ﴿ **ولا يحيطون به علماً** ﴾ (طه : ١١٠) وقوله : ﴿ **ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء** ﴾ (البقرة : ٢٥٥)،

== ﴿ إنه يعلم السر وأخفى﴾ (طه : ٧) . وقوله: ﴿ إن اللّه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ (آل عمران :٥) وقوله : ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ماشاء اللّه إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ (الأعلى : ٧)

وقوله :﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴾ (إبراهيم : ٣٨)

وقوله "﴿ وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ﴾ (الممتحنة :١)

وقوله : ﴿ قل إن تخفوا ما في صدوركم أوتبدوه يعلمه اللّه﴾ (آل عمران : ٢٩)

وقوله : ﴿ وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ (البقره : ٢٨٤)

وقوله ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ (غافر : ١٩)

وقوله : ﴿ ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴾ (النمل : ٢٥)

وقال لهم : هذا يرد ما قال صاحبكم، ويدل على أن يمينه هذه فاجرة مفتراة! لقالوا: هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده، من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل، المدفوع بالأصول المقررة .

وبالجملة، فإطالة ذيول الكلام في مثل هذا المقام إضاعة للأوقات، واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات ، وليس مقصودنا ههنا إلا إرشاد السائل إلى أن المذهب الحق في الصفات هو إمرارها على ظاهرها من غير تأويل(٢٥)، ولا

(٢٥) التأويل : تفعيل من آل يؤول إلى كذا ، إذا صار إليه ، فالتأويل التصيير . والتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك .
والتأويل هو عاقبة الشيء ؛ لأن الأمر يصير إليها. ومنه قوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ . ويسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا لأن الأمر ينتهي إليها ومنه قوله: ﴿ هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ . فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله والجنة والنار ، ويسمى تعبير الرؤيا تأويلاً بالاعتبارين ، فإنه تفسير لها وهي عاقبتها وما تؤول إليه. وقال يوسف لأبيه: ﴿ يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل ﴾ أي حقيقتها ومصيرها إلى هاهنا انتهت . وتسمى العلة الغائية والحكمة =

تحريفٍ (٢٦) ، ولا تكلُّفٍ (٢٧) ، ولا تعسُّفٍ (٢٨)، ولا جَبْرٍ (٢٩) ،

= المطلوبة بالفعل تأويلاً لأنها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به ومنه قول الخضر لموسى عليهما السلام - بعد أن ذكر له الحكمة المطلوبة بالفعل المقصودة بما فعله من تخريق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار بلا عوض : ﴿سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً﴾ فلما أخبره بالعلة الغائية التي انتهى إليه فعله قال: ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً ﴾ من الحموية والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله بتصرف .

(٢٦) التحريف : العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره وهونوعان : تحريف لفظه وتحريف معناه . فمن التحريف والإلحاد، تأويل الجهمية قوله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ أي جرح قلبه بالحكمة والمعارف تجريحاً ، ومن تحريف اللفظ تحريف إعراب قوله :﴿ وكلم الله ﴾ من الرفع إلى النصب وقال وكلم اللّه أي موسى كلم اللّه ولم يكلمه الله ، باختصار من الصواعق المرسلة وانظر شرح الطحاوية (ص ١٢٠) .

(٢٧) في النهاية (١٩٧/٤) وحديث ابن عمر: (نهينا عن التكلف) : أراد كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها والأخذ بظاهر الشريعة وقبول ما أتت به وكذا في لسان العرب .

(٢٨) العسف : السير بغير هداية ، والأخذ على غير الطريق ، وكذلك التعسف والاعتساف كذا في لسان العرب .

(٢٩) انظر التعليق رقم (٧).

ولا تشبيهٍ (٣٠) ، ولا تعطيل (٣١)، وأن ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

فإن قلت : وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها؟ فإن أهل المذاهب الإسلامية يتنزَّهون عن ذلك، ويتحاشون عنه، ولا نصدق معناه، ولا يوجد مدلوله إلا في طائفة من طوائف الكفار، وهم المنكرون للصانع !

قلت : ياهذا إن كنت ممن له إلمام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام ، فإنه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم، ويذكرونه في مؤلفاتهم، ويحكونه عن أكابرهم، أن اللّه سبحانه وتعالى وتنزَّه وتقدَّس، لا هوجسم (٣٢) ، ولا جوهر، (٣٣)

---

(٣٠) هو اعتقاد أن صفات الله تشبه صفات المخلوقين، والمعتزلة يقولون : كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل . انظر الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ص ٤١ المطبعة السلفية .

(٣١) التعطيل : مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك ، ومنه قوله تعالى ﴿ وبئر معطلة ﴾ أي أهملها أهلها وتركوا وردها ، والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالى ا.هـ (شرح العقيدة الواسطية) محمد خليل هراس (ص ٢١) .

(٣٢) هم فسروا الجسم : بمايشار إليه ، أو بالقائم بنفسه .

(٣٣) الجوهر عند المناطقة : هو الغني عن المحل . أي الموجود لا في موضوع ، وقيل : ما يقوم بنفسه .ا.هـ. (تسهيل المنطق) ص ٢٦ تأليف فضيلة الشيخ عبد الكريم بن مراد الأثري .

ولاعَرَض [٣٤]، ولا داخل في العالم ولا خارجه، فأنشدك الله: أيُّ عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي؟ وأيُّ مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة ؟ فكأن هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل :

فكنت كالساعي إلى مَثْعَبٍ   مُوائِلاً من سُبُل الرَّاعدِ

أو : كالمستجير من الرمضاء بالنار ، والهارب من لسعة الزُّنْبور إلى لدغة الحية، ومن قرصة النملة إلى قضمة الأسد، وقد يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه، وأنزلهما على رسوله، وهما: ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ (طه : ١١٠) و : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (الشورى :١١) . فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب ، وتضمنتا بما يعين أولي الألباب السالكين في تلك الشعاب، فالكلمة منهما دلت دلالة بيِّنة على أن كل ماتكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق ، فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل، مخلوط

---

(٣٤) العَرَض عند المناطقة : هو الموجود في موضوع ، والموضوع هو المحل المستغني عن الحال فيه . وقيل هو ما يقوم بغيره . المصدر السابق نفس الصفحة .

بخلوط هي منافية للعلم، ومباينة له، فإن اللّه سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علماً ، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا ، فلاشك أن صحة ذلك متوقفة على الإحاطة ، وقد نُفِيَتْ عن كل فرد من الأفراد علماً . فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل : إمّا من كل وجه، أو من بعض الوجوه ، وما صدر عن جهل فهو مضاف إلى جهل ، ولاسيًما إذا كان في ذات الله وصفاته ، فإن ذلك من المخاطرة في الدين ما لم يكن في غيره من المسائل ، وهذا يعلمه كل ذي علم، ويعرفه كل عارف ،ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها إلا المروُّن الصفات على ظاهرها، المريحون أنفسهم من التكلُّفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات، وهم السلف الصالح ـ كما عرفت ـ فهم الذين اعترفوا بالإحاطة، وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله ، وقالوا: الله أعلم بكيفية ذاته وماهيَّة صفاته، بل العلم كلُّه له ، وقالوا كما قال من قال مِمَّن اشتغل بطلب هذا المُحال، فلم يظفر بغير القيل والقال: (٣٥) .

---

(٣٥) قائل ذلك هو الفخر الرازي كما نقلوا عنه من كتاب (أقسام اللذات) قال :

نهاية إقدام العقول عقال ... وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال =

العلــمُ للرحـمن جلَّ جلالُه   وسواه في جَهَلاته يتغمغمُ
ما للتــراب وللعلوم وإنمـا   يســعى ليعلم أنه لا يعــلـمُ

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح إلا مجرد الحَيْرة التي وجد عليها غيره من المتكلِّفين، فقال :

لقد طفْتُ في تلكَ المعَاهد كُـلِّها   وسَرَّحْتُ طَرْفي بينَ تلكَ المَعالِمِ
فَلَـمْ أرَ إلاَّ واضـعاً كفَّ حائرٍ   على ذقنٍ، أو قارِعاً سنَّ نادمِ[٣٦]

وها أنا أخـبرك عن نفسـي، وأوضـح لك مـا وقـعت فيـه في أمسـي ، فـإني في أيام الطلب وعنفـوان الشـبـاب شـغلت بهذا العلم الذي سمَّوْه تارة علـم الكلام، وتارة علم التـوحيد، وتارة علم أصـول الدين ، وأكـببت على مـؤلفـات الطوائف المخـتلفـة منهم، ورُمْتَ الرجوع بفائدة، والعود بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخَيْبَة والحيْرَة ، وكان ذلك من الأسبـاب التي حَبَّبت إلـيَّ

= ولم نسـتفد من بحثنا طول عمرنا   ســوى أن جمعنا فيه : قيل وقال
انظر شـرح الطحـاوية (ص ٢٠٨) والإقليـد للشنقـيطي بتـحـقـيـقي ص ٧٧ ونسبـهـا ابن خلكان في وفيات الأعـيـان (٦٨٨/١) في ترجمته عـبد الكريم الشـهر ستانى . والفتوى الحموية لشيخ الإسلام .

(٣٦) هو الإمـام الشـهـر سـتـانى. انظر شـرح العـقـيـدة الطحـاوية (ص ٢٠٩) وانظر ترجمته في وفيات الأعيان (٦٨٨/١)

مذهب السلف، على أني كنت قبل ذلك عليه ، ولكن أردت أن أزداد منه بصيرة، وبه شَغَفَاً ، وقلت عند ذلك في تلك المذاهب:

وغاية ما حصَّلْتُه من مباحثي
ومن نظري من بعد طول التدبُّرِ
هو الوقف ما بين الطريقَيْن حَيْرَةَ
فما عِلْمُ من لم يلْقَ غيرَ التحيُّرِ
على أنني قد خُضْتَ منه غِمارَه
وما قنعت نفسى بغير التبحُّرِ

وأما الكلمة، وهي: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾، [الشورى ١١] فبها يُسْتفاد نَفْي المماثلة في كل شيء، فيدفع بهذه الآية في وجه المجسِّمة، وتعرف بها الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير ، وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء، ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة، فتقرر بذلك الإثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات، فيدفع به جانبي الإفراط والتفريط وهما المبالغة في الإثبات المفضية إلى التجسيم، والمبالغة في النفي المفضية إلى التعطيل ، فيخرُجُ من بين الجانبين وغلو الطرفين أحقِّيَّة مذهب السلف الصالح ، وهو قولهم بإثبات ما أثبته لنفسه من

الصفات على وجه لا يعلمه إلا هو ، فإنه القائل: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع العليم ﴾ (الشورى : ١١) ومن جملة الصفات التي أَمَرَّها السلف على ظاهرها، وأجروها على ماجاء به القرآن والسنة من دون تكلُّف ولا تأويل: صفة الاستواء التي ذكرها السائل ، يقولون: نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها إلا هو، وكَيْفِيَّة لا يدري بها سواه ، ولا نكلف أنفسنا غير هذا، فليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته ، ولا يحيط عباده به علماً . وهكذا يقولون في مسألة الجهة [٣٧] التى ذكرها

---

(٣٧) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرسالة التدمرية (ص ٤٥) : قد يراد بـ «الجهة» شيء موجود غير الله فيكون مخلوقاً كما أريد بـ « الجهة » نفس العرش أو نفس السموات ، وقد يراد به ماليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم .، ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهة ولا نفيه ، كما فيه إثبات العلو والاستواء والفوقية والعروج إليه ونحو ذلك . وقد علم أن ماثم موجود إلا الخالق والمخلوق ، والخالق سبحانه وتعالى مباين للمخلوق ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته . فيقال لمن نفى : أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق ؟ فالله ليس داخلاً في المخلوقات ، أم تريد بالجهة ماوراء العالم فلا ريب أن الله فوق العالم . وكذلك يقال لمن قال : الله في جهة . أتريد بذلك أن الله فوق العالم أو تريد به أن الله داخل شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل ا.هـ .

السائل، وأشار إلى بعض ما فيه دليل عليها ، والأدلَّة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة، وقد جمع أهل العلم منها، لا سيَّما أهل الحديث مباحثَ طوَّلوها بذكر آيات قرآنية وأحاديثَ صحيحة ، وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه، مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمه اللّه ، استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب [٣٨] .

والمسألة أوضح من أن تلتبس على عارف، وأبْيَن من أن يُحتاج فيها إلى التطويل ، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية، كَثُر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء، وطال، سيّما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب ، فلهم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى ، وما زالوا هكذا في عصرٍ بعد عصرٍ ، والحق هو ما عَرَّفناك من مذهب السلف الصالح : فالاستواء على العرش، والكون في تلك الجهة، قد صرح به القرآن الكريم في

---

(٣٨) هوكتاب (العلو للعلي الغفار) للحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله وقد اختصره شيخنا العلامة ناصر الدين الألباني وهومطبوع في المكتب الإسلامي ومتداول .

مواطن، يكثر حصرها، ويطول نشرها (٣٩) ، كذلك صرح به رسول اللهﷺ في غير حديث، بل هذا ممّا يجده كُلُّ فرد من أفراد الناس في نفسه ، ويحسه في فطرته، وتجذبه إليه طبيعته، كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى، والتجأ إليه، ووجّه أدعيته إلى جنابه الرفيع، وعزه المنيع ، فإنه يشير عند ذلك بكفِّه، أو يرمي إلى السماء بطرفه ، ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء، وحدوث بواعث الاستغاثة، ووجود مقتضيات الإزعاج، وظهور دواعي الالتجاء، عالمُ الناس وجاهلُهم، والماشي على طريقة السلف، والمقتدي بأهل التأويل القائلين بأن الاستواء هو الاستيلاء ، كما قال جمهور المتأولين والأقيال (٤٠) ، كما قاله أحمد بن

---

(٣٩) يقول العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في رسالته (الأسماء والصفات نقلاً وعقلاً) ص ٢٨ وما بعدها بتحقيقي نشر مكتبة التوعية الإسلامية بالهرم : اعلموا أن هذه الصفة التي هي صفة الاستواء ، صفة كمال وجلال تمدح بها رب السموات والأرض والقرينة على أنها كمال وجلال أن الله ما ذكرها في موضع من كتابه إلا مصحوبة بما يبهر العقول من صفات جلاله وكماله التي هي منها وسنضرب مثلا لذلك بذكر الآيات : ثم ذكر الآيات :[الآعراف : ٥٤ ، [يونس : ٣ ـ ٦] [الرعد : ٢ ـ ٤] ، طه [١ ـ ٨] ، [الفرقان :٥٨ ، ٥٩] ، [السجدة : ٢ ـ ٩] ، [الحديد : ٣ ـ ٤] فارجع إلى رسالته فهي فريدة في بابها .

(٤٠) فى رد تأويل استوى استولى : قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه =

يحيى ثعلب، والزجاج، والفراء، وغيرهم، أوكناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون، فالسلامة والنجاة في إمرار ذلك على الظاهر، والإذعان بأن الاستواء والكون على مانطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف، ولا قيلٍ ولا قالٍ، ولا قصور في شيء من المقال ، فمن جاوز هذا المقدار بإفراط أو

= الله تعالى في مجموع الفتاوى (١٤٦/٥) (السابع) : أنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي ، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا : إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة . وقد علم أ نه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لا حتاج إلى صحته ، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده ؟ وقد طعن فيه أئمة اللغة وذكر عن الخليل كما ذكره المظفر السمعاني في كتاب (الإفصاح) قال : سئل الخليل هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى ؟ فقال : هذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في لغتها ، وهو إمام في اللغة على ما عرف من حاله . فحينئذ حَمْلُه على ما لا يُعرف حمل باطل . (الثامن) أنه روى عن جماعة من أهل اللغة أنهم قالوا : لا يجوز استوى بمعنى إلا في حق من كان عاجزا ثم ظهر والله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء والعرش لا يغالبه في حال ، فامتنع أن يكون بمعنى استولى ا.هـ/ بلفظ وانظر للتفصيل مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (٢ / ١٢٧ - ١٣٩) والحموية [ص ٩٧] ط المدني . وفتح الباري [١٣ / ٤٠٦] ط السلفية .

تفريط فهو غير مقتد بالسلف، ولا واقف في طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ، ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة .

وكما نقول هكذا في الاستواء ، والكون في تلك الجهة، فكذا نقول في مثل قوله سبحانه: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (الحديد:٤).

وقوله ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ (المجادلة : ٧) وفي نحو: ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ (البقرة : ٥٣)، ﴿ إن اللّه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (النحل : ١٢٨)، إلى ما يشابه ذلك ويماثله، ويقاربه، ويضارعه. فنقول في مثل هذه الآيات : هكذا جاء القرآن ، إن الله سبحانه وتعالى مع هؤلاء، ولا نتكلَّف تأويل ذلك كما يتكلَّف غيرنا بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومَعِيَّتُه ، فإن هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف، وتباين ماكان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم ، وإذا انتهيت إلى السلامة في مداك فلا تجاوِزْه (٤١) .

---

(٤١) الحق أن قول ذلك من التأويل الصحيح لا المذموم ، وانظر للتفصيل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية (١٠٢ - ١٠٤) ط المدني بتحقيق محمد عبد الرزاق حمزة يقول :﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ =

وهـــذ الحق ليس به خفاء فـــدعني من بُنَيَّات الطريق

وقـد هلك المتنطعـون، ولا يهلك على الله إلا هالك ، وعلى نفسـها براقش تجني ، وفي هذه الجملة ـ وإن كانت قليلة ـ ما يغني من شحَّ بدينه وتحَرَّص عليه عن تطويل المقـال، وتكثـير ذيوله وتوسـيع دائرة فروعه وأصـوله ، والهداية من الله، والله أعلم .

ولله الحـمـد أولا وآخـراً، وظاهـراً وباطنـاً، وأصلّي وأُسَلِّم على محمد النبيِّ الأمِّيِّ وعلى آله وصحبه وسلَّم . (٤٢) .

[تمت بحمد اللّه]

== دل ظاهـر الخطاب على أن حكم هذه المعـيـة ومـقـتـضـاها أنه مطلع عليكم شـهيد عليكم مـهيمن عالم بكم ، وهذا معنى قول السلف أنه معهم بعلمه وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته . وقال قبل ذلك : وذلك أن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه وتعالى ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهومعكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ (الحديد :٤) ، فارجع إلى النص بكامله للاستفادة، والله أعلم .

(٤٢) انتـهى التـعليق على هذه الرسـالة النـافـعـة إن شـاء الله تعـالى في عـصـر يوم الأحد ٢٤ من ذي القـعدة ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠/٦/١٧م وكتب شـريف محمد فؤاد هزاع .